الاختيار الزواجي السليم لبناء الأسرة

ورقة عمل من إعداد

الدكتور

ميسرة طاهر

مقدمة لندوة التماسك الأسري "الإرشاد الزواجي"

التي ينظمها المكتب التنفيذي بالتعاون مع وزارة التنمية الاجتماعية بسلطنة عمان

خلال الفترة ١٧ - ١٨ أغسطس ٢٠١٦م في جامعة ظفار بمدينة صلالة بمحافظة ظفار

الاختيار الزواجي السليم لبناء الأسرة

تتناول هذه الورقة أربعة محاور رئيسية على النحو التالي:

أولا: مفهوم الزواج وأهميته.

ثانيا: أهمية البحث في موضوع الاختيار الزواجي السليم.

ثالثا: أسس ومعايير الاختيار الزواجي من منظور ديني واجتماعي.

رابعا: معايير إرشادية للمقبلين على الزواج.

أولا: مفهوم الزواج وأهميته:

يمكننا أن نوضح أهمية الزواج والدور الذي يلعبه في حياة البشر من خلال طرح المسألة على هيئة سؤال هو:

لماذا نتزوج؟

يعد الزواج ضرورة أساسية لجميع الكائنات الحية وعلى رأسها الإنسان ذلك أنه الضمان الرئيسي لاستمرار الجنس سواء كان حيوانيا أم إنسانيا.

ويختلف الإنسان عن باقي الكائنات الحية في أن الزواج ليس وسيلة لاستمرار الجنس البشري فقط، ولكنه يؤدي إلى العديد من الوظائف الهامة التي يختص بها الإنسان دون بقية الكائنات، فهو شريعة دينية، وهو الوسيلة الوحيدة لاستكمال طاقة الحب وكافة العوامل العاطفية، وهو كذلك من محددات تحقيق الذات عند كل من الرجل والمرأة، كما ينتج عنه المصاهرة والأنساب، وبالتالي فهو مصدر رئيسي من مصادر تكوين شبكة العلاقات الاجتماعية وتقويتها. ولكن دعونا ننظر في تكوين الإنسان نفسه.

يبدأ تكوين الإنسان عضويا من بيضة يكونها أحد مبايض المرأة وهي بمثابة خلية واحدة تحتوي على ٢٣ كروموسوم تحمل جميع خصائص المرأة على هيئة جينات محمولة على الكروموسومات الثلاثة والعشرين السابق ذكرها، تقوم بعد ذلك النطفة بتلقيحها وهي خلية واحدة مصدرها الرجل وتحتوي على ٢٣ كروموسوم أيضا وهي الأخرى تحمل جميع خصائص الرجل على الجينات المحمولة

على كروموسوماته الثلاثة والعشرين المذكورة آنفا.

وينتج عن اتحاد البويضة مع الحيوان المنوي هذا التزاوج المتساوي في المقدار ليتفاعل هذا المزيج بنشاط هائل ومستمر وفعال طوال فترة تسعة أشهر لينتج في النهاية طفلا أو طفلة ترى نور الحياة إن قدر الله لها ذلك. وهذا التفاعل يتم في جو آمن ومريح في رحم الأم أو كما نسميه في جنة الرحم بلا مطلب غذاء ولا سماع أصوات ولا رؤية واضحة، حتى قيل إن معدل النمو داخل الرحم لو استمر خارج الرحم لبلغ طول أي إنسان المسافة بين الأرض والقمر.

ألا يمكن أن نتصور أن هذا التزاوج هو نموذج مثالي لما سيحدث بعد ذلك من زواج بين رجل وامرأة. **فالتساوي** هو الأساس في الحقوق والواجبات والأمن والأمان، وهو ضرورة لأي بيت يريد أن ينعم بالسعادة والاستقرار، كما أن هذا التساوي عنصر مهم لتنمية العلاقة بين الزوجين في اتجاهها الصحيح من خلال زيادة المحبة والاحترام والتقدير، وهذه الثلاثة هي الوسيلة الوحيدة لاستمرار الزواج.

ولعل السؤال مازال قائما لماذا نتزوج؟؟؟

هنا يجب أن نعود إلى الطفولة الباكرة جدا وسنجد إن الطفل يولد وهو في حالة عجز هائلة لن يمر بها بعد ذلك مهما طال به العمر فهو يولد غير قادر على حماية نفسه، وشبه عاجز عن الحركة، وعاجز تماما عن الحركة الواعية الموجهة، كما أنه عاجز تماما عن الكلام، ولا يملك إلا البكاء، فهو يبكي إن جاع، ويبكي إن تألم، ويبكي إن بلل نفسه، أو أخرج فضلاته، وبعد فترة يبكي إن شعر بالوحشة وأراد أن يكون بجانبه من يؤنسه، وبكاؤه يكاد يكون غير مميز سواء للجوع أو الألم أو أي مطلب آخر.

هذا الإنسان المتناهي في العجز عند الميلاد هو من أطول الكائنات طفولة إذ قد تمتد طفولته لأكثر من ٢٥ سنة إذا أخذناها بالمعنى الاقتصادي للطفولة أي الاعتماد على الآخرين، أي أن الإنسان يولد ضعيفا ومعتمدا على غيره. ويكون في أشد الحاجة إلى من يرعاه أي في أشد الحاجة للحب، ومع عملية النمو الجسمي والعقلي تصبح البيئة كلها والبيئة الأسرية بخاصة ضرورة أساسية

لمواجهة هذا النمو وترشيده وتنشئته تنشئة سوية تتناسب مع الثقافة السائدة من معتقدات وأعراف وقوانين. وهنا تنشأ لدى هذا الطفل ثلاث حاجات رئيسية تعد في معظم النظريات النفسية الحاجات الثلاث التي يسعى الإنسان ليس لإشباعها فقط، وإنما لتحقيق ذاته أيضا.

وهذه الحاجات الثلاث هي:

١.الحاجة إلى الاستقلال.

٢.الحاجة إلى القوة.

٣.الحاجة إلى الحب.

ومع عملية النمو تزداد استقلاليته. ويصل لمرحلة يستطيع عندها أن يزحف وأن يمشي مستندا وأن يمشي بمفرده وأن يصعد السلالم، كذلك يستطيع أن يأكل دون معاونة ويستطيع أن يطلب ما يريده، وأن يبكي ويهرب مما يخيفه، وأن يميز بين أمه وأبيه والآخرين، كل ذلك يزيد من استقلاليته ومن رغبته في الاستقلال.

كما أن عمليات النمو تعطيه القوة سواء كانت جسدية أو عقلية أو اجتماعية أو عاطفية حتى أنه قيل إن الإنسان هو الكائن الحي الوحيد الذي يبحث دائما عن القوة.

أما الحاجة للحب أي أن يحبه الآخرون وأن يحب هو الآخرين فإن غياب هذه الحاجة وعدم إشباعها يؤدي بالضرورة إلى الاضطراب النفسي وعدم السواء وعدم القدرة على النمو بسلام. وعلى سبيل المثال فإنك تستطيع أن تحضر طعاما لأي حيوان وترميه له بغضب أو بدون غضب ولن يؤثر ذلك في تناوله للطعام، أما الإنسان فلا يمكن التعامل معه دون حب. والطفل لا يمكن أن ينمو نموا سويا دون حب وأمن وأمان.

إن الأم وهي ترضع طفلها لا ترضعه حليبها فقط ولكن ترضعه الحنان والدفء والأمان وإلا فكيف نفهم سلوك الرضع حين يتمسك أحدهم بثدي أمه وهو شبعان، إن هذه الحاجات الثلاث الاستقلال والقوة والحب لا يمكن أن تكتمل ويتم إشباعها دون الزواج أي إن الزواج هو العربة الوحيدة التي تقودنا إلى إشباع هذه الحاجات، وبالتالي الوصول إلى أكبر قدر من السلامة النفسية.

كيف يحقق الزواج الأمن النفسي وتحقيق الذات؟

للإجابة على هذا السؤال لنبدأ بالحاجة إلى الاستقلال.

إن أي راشد يستطيع أن يكون مستقلا تمام الاستقلال قبل الزواج، ذلك إنه حتى لو أعطته أسرته القدر الهائل من الاستقلال إلا أنه يبقى استقلالا مشروطا بموافقة الأهل والأسرة، ولا يستطيع هذا الراشد أن يتخذ قراراً أو يأخذ موقفاً دون أن يضع في حسبانه الأسرة التي ينتمي اليها، لأنه ليس صاحب القرار الأخير سواء كان شابا أم شابة، وحتى هذا الاستقلال يعتبر استقلالا غير صحي من الناحية النفسية، أو قل إنه استقلال مؤقت يؤدي دورا لمرحلة مؤقتة يتبعها استقلال تام عن طريق الزواج ويصبح الشاب أو الشابة هو صاحب البيت ورب الأسرة.

إن مرحلة استقلال ما قبل الزواج مرحلة منقوصة فإذا افترضنا إن له غرفته الخاصة وسيارته الخاصة وجميع احتياجاته الخاصة فإن ذلك تصاحبه العزلة والوحدة وفقدان جزء كبير من الإحساس بالسعادة، وبالتالي فإن وجود شريك – الزوج أو الزوجة – يعني إن هناك من يشاركني ما أنا فيه ومن يساعدني في اتخاذ القرار ونحن الإثنين معا أعلى سلطة في اتخاذ قراراتنا وهذا شيء رائع لو أُحْسِن استخدامه. وهنا نحتاج أن نؤكد مرة أخرى أنه تم تكويننا من شراكة متساوية على المستوى الكروموسومي من آبائنا وأمهاتنا حيث منحنا كل منهما ٢٣ كروموسوما.

وبالنسبة للحاجة إلى القوة فقد يكون للشباب ذكورا وإناثا قوى مختلفة في بيوت آبائهم سواء كان هذا المقدار قليلا أم كثيراً، فقد تسمح الأسرة للأخ الأكبر أن تكون له سلطات، وقد تسمح للأخت الكبرى أن تعطي أوامر لمن هم أصغر منها، وقد يشعر الشباب بامتلاكهم لقوى تعود لمكانتهم الاجتماعية أو العلمية أو المالية ولكن كل هذه القوى مشروطة بموافقة الآباء والأمهات عليها، أي إنهم لا يمارسون قواهم ولكن هم بمثابة منفذين لقوى الآباء وأوامرهم وعاداتهم وتقاليدهم، وليس ذلك بشيء غريب أو غير مطلوب ولكنه يشكل مرحلة وتدريباً وإعداداً لممارسة القوة كمسئول أول عنها.

ومعنى أن يكون أحدنا زوجا أو زوجة أي أنه يقوم بممارسة حقيقية للقوة، وليس إرادة تنفيذ لقوة أخرى. وهو يعني أيضا أن الممارسة الحقيقية للقوة لا تتحقق إلا بالزواج حيث يكون الزوج المسئول الأول، وتكون الزوجة المسئولة الأولى، ومن خلال التفاعل البناء كما في حالة نمو الجنين في الرحم تصدر قوة إيجابية إطارها التعاون وبيئتها المودة والرحمة والحنان وكلها تصب في الحاجة

الثالثة ألا وهي الحب.

وبالنسبة للحاجة إلى الحب أي أن يحبنا الآخرون وأن نحب الآخرين فإن ذلك يتحقق في معظم الأسر من حب الآباء وحب الأخوة والأخوات بعضهم لبعض، كما يتحقق مع الأصدقاء والصديقات وحب الأقارب إلا أن كل هذه الأنواع من الحب تظل ناقصة لأننا لا نستطيع أن نشبع فيها الطاقة الجنسية بصورة مباشرة. وهذا النوع من الإشباع لا يمكن أن يتم بصورة صحيحة وتحافظ على السلامة النفسية إلا من خلال الزواج وعليه فإن حاجة الحب تظل ناقصة ولا تكتمل إلا بالزواج، ذلك إن الحب مشاعر وعواطف ومودة وتقبل ورحمة وعطاء بلا حدود ويتم استكماله بإرضاء الدافع الجنسي، إن الممارسة الجنسية لا يجب أن تمارس في حد ذاتها ولكن باعتبارها تعبيرا ماديا عن إيجابية وتقبل ورغبة وحنان لكل من الشريكين.

إن الممارسة الجنسية ليست مسألة ميكانيكية موسمية كما هو الحال لدى بقية الكائنات الحية، ولكنها وسيلة استمتاع وتعبير عن الحب وعطاء حقيقي من كلا الزوجين.

إن أبشع صورة من صور الإهانة الإنسانية لكل من الذكور والإناث هي البغاء والزنا حيث يهان الجسدين، وتتحول العلاقة إلى بيع وشراء وأمراض لاحد لها وغضب من الله واستنكار من الناس الأسوياء.

الزواج إذن هو الطريق الوحيد لاستكمال مكونات السواء النفسي لكل من الذكر والأنثى، فهو الطريق المؤدية إلى إشباع الحاجات الرئيسية الثلاث وهي الحاجة إلى القوة والحاجة إلى الاستقلال والحاجة إلى الحب من خلال تفاعل إيجابي بناء بين الزوجين، تفاعل يبني ويتسامح ويحب ويحرص على أبدية العلاقة وعلى الحصول على أكبر قدر من السعادة لكل منهما.

إنه الوسيلة الأهم لتحقيق الذات وتفردها وإطلاق طاقاتها الخلاقة والى الإحساس بالذات وتحقيق أهدافها وهو ضرورة عاطفية، لأن طاقة الحب مع الآخر لا يمكن أن تكتمل إلا مع شريك محب معطاء بحيث يكونان معا أسرة.

وعليه فإن كلمة أسرة تعني بنيانا عقليا واجتماعيا ودينيا وأخلاقيا وعاطفيا يساهم فيه كل من الزوجين بكل المحبة والاخلاص والتفاني.

وهو ضرورة بيولوجية لإشباع الطاقة الجنسية عند كل من الزوجين، طاقة لا يسمح ديننا بإشباعها إلا من خلال الزواج. وشأنها شأن أي طاقة جسمية لابد من إشباعها وإلا حدث العديد من أنواع الخلل للإنسان سواء على المستوى الجسدي أم على المستوى النفسي.

وكما سبق أن قلنا فهو الوسيلة الوحيدة لاستمرار الجنس البشري ولا توجد وسيلة أخرى تستطيع أن تحل محله.

ثانيا: أهمية البحث في موضوع الاختيار الزواجي السليم.

المتتبع لمآل الزواج في مجتمعاتنا الخليجية يرى بوضوح أن هناك تزايدا في نسب الطلاق في السنوات الأخيرة، والمهتم بهذا الشأن وبخاصة العاملين في مجال الاستشارات الأسرية يدرك جيدا أن الخلافات والشجار وما يرافقهما من أذى يلحق بكل الأطراف ابتداء بالزوج والزوجة والأبناء إن وجدوا مرورا بأهل الزوج والزوجة وانتهاء بالقضاة والمحامين والمستشارين الأسريين، ولا يسلم من هذا الأذى المدرس ومسؤولي المدرسة وربما وصل الأذى إلى الجهات الأمنية التي تستقبل فيمن تستقبله ضحايا الطلاق سواء كانوا جانحين أو متعاطين للمخدرات، وباختصار فإن تصدع الأسرة يطال جميع فئات المجتمع.

ولتفادي هذا التصدع لابد من التفكير مليا في حسن الاختيار، لأن الطلاق في أحيان ليست قليلة لا صلة له بسوء أحد الطرفين، ولكنه ذو صلة مباشرة بمقدار التوافق بين الزوجين، وقد وجدتُ في حالات ليست قليلة ومن خلال من يراجعني في "بيت المشورة" حيث أعمل، أن الزوج لوحده بعيدا عن زوجته رائع، وربما كانت الزوجة كذلك، ولكنهما حين يجتمعان كزوجين تدب المشكلات وتظهر الصراعات، لا لشيء إلا لأنهما ليسا منسجمين مع بعضهما، وكأني بهما يشبهان القفل والمفتاح، فليس كل مفتاح يصلح لكل قفل، وليس كل قفل يفتحه أي مفتاح، بهذا المعنى نجد أنفسنا أمام حاجة ماسة لحسن الاختيار، وإلا فسيتحول الزواج لمصدر رئيسي للألم والصراع وربما صار مصدرا للاضطرابات السيكوسوماتية، أي تلك الاضطرابات الجسمية نفسية المنشأ، وكأني بمن يعاني من هذه الاضطرابات يعبر بصورة دقيقة عن القاعدة النفسية القائلة: "حين يعجز العقل يتحدث الجسد". والمؤسف أننا في مجالات الحياة الأخرى طورنا معايير مهمة لحسن اختيار المعلم أو الطبيب أو السباك أو النجار أو الحداد أو الكهربائي، وكثيرون منا لا يقبلون تسليم

العمل في بيوتهم لحداد أو نجار أو كهربائي إن لم يكن مؤهلا، بل إننا نبحث ليس فقط عن المؤهل، وإنما عن المتمرس والأكثر فهما وخبرة، ولكننا بالمقابل نسمح لأنفسنا بتزويج بناتنا لشباب لا نعرف الكثير عن درجة ملاءمتهم لمن يريد الزواج منها، كما أنه ربما انجذب لجمال الفتاة أو لسمعة أهلها الطيبة، أو لما لديها من ثروة أو وظيفة، وهي كذلك، وكما يقولون سيفاجأ هذا الزوج أو تلك الزوجة بعد الزواج وأحيانا قبله، أي في فترة الخطبة أو بعد عقد القران أن أحد الطرفين أشبه بمن غطت وجهه مساحيق التجميل وبعد إزالتها تبدو جوانب القبح، وأحيانا تبدو جوانب الاختلاف التي لا يملك أحد الطرفين من الخبرة والمهارة ما يمكنه من التعامل معها، ويجد نفسه عندها مندفعا نحو الطلاق باعتباره أسهل الحلول مع ما يترتب عليه من نتائج كارثية بخاصة إذا ترتب على هذا الزواج أطفالا يكونون هم الضحية الحقيقية لمثل هذا الطلاق.

وفي التراث الشعبي بعض الأمثال المعبرة عن بعض هذه الثغرات في الاختيار، فهذا مثل يقول: *" يا ماخذ القرد على ماله، يروح المال ويبقى القرد على حاله".*

نعم سيذهب مال العريس أو العروس وستبقى العيوب في حال وجودها على ما هي عليه، وينطبق المثل أيضا على الحسب والجمال.

والمتتبع للدراسات التي تناولت معايير الاختيار لدى الزوجين سيجد أنها قليلة جدا، وهي دراسات نحتاجها حاجة ماسة بهدف زيادة الوعي لدى الشباب والشابات بأهم المعايير التي تساعد على نجاح الزواج ويمكن لمراكز البحوث المستقلة أو تلك التابعة للجامعات القيام بمثل هذه الدراسات، وسيكون أمرا مثمرا لو أن وزارات الشؤون الاجتماعية في دول مجلس التعاون الخليجي شجعت بل ومولت مثل هذه الدراسات، سواء كانت دراسات يقوم بها قطاع مراكز البحوث المستقلة أو تلك التابعة للجامعات، وتستطيع هذه الوزارات أن تعقد اتفاقيات مع بعض الأقسام المتخصصة كأقسام علم النفس وعلم الاجتماع في الجامعات بحيث تشجع طلاب وطالبات الدراسات العليا على تبني هذه المواضيع في بحوثهم ورسائل الماجستير والدكتوراه التي يقومون بها، وهذا سيجعل مثل هذه الرسائل أكثر ارتباطا باحتياج مجتمعاتنا الخليجية، وسينعكس ذلك على زيادة الوعي وبالتالي تقليل فرص الطلاق وما يترتب عليه من تصدع وعواقب وخيمة على العديد من الأطراف.

ثالثا: أسس ومعايير الاختيار الزواجي من الناحية الدينية والاجتماعية.

عَنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رضي الله عنه أَنَّهُ خَطَبَ امْرَأَةً فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (انْظُرْ إِلَيْهَا فَإِنَّهُ أَحْرَى أَنْ يُؤْدَمَ بَيْنَكُمَا) أي أَحْرَى أَنْ تَدُومَ الْمَوَدَّةُ بَيْنَكُمَا. والحديث صححه الألباني في صحيح الترمذي.

وروى أبو داود عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِذَا خَطَبَ أَحَدُكُمْ الْمَرْأَةَ فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى مَا يَدْعُوهُ إِلَى نِكَاحِهَا فَلْيَفْعَلْ).

قَالَ: فَخَطَبْتُ جَارِيَةً فَكُنْتُ أَتَخَبَّأُ لَهَا حَتَّى رَأَيْتُ مِنْهَا مَا دَعَانِي إِلَى نِكَاحِهَا وَتَزَوَّجْتُهَا فَتَزَوَّجْتُهَا. والحديث حسنه الألباني في صحيح أبي داود.

لفهم المنحى الديني والنفسي لمعايير الاختيار سنقوم بتوضيح دور الحاجات العضوية والنفسية في موضوع الزواج.

١. الحاجات العضوية:

يحتاج كل منا لإشباع مجموعة الحاجات العضوية التالية:

١. الحاجة للطعام.

٢. الحاجة للشراب.

٣. الحاجة للنوم والراحة.

٤. الحاجة الجنسية.

والوقائع اليومية في حياة البشر تثبت يوميا أن من لا يتمكن من إشباع الحاجة للطعام والحاجة للشراب سيكون مصيره الموت بغض النظر عن المدة التي يستطيع أن يتحملها نتيجة هذا النقص في الإشباع.

أما الحاجة للنوم والراحة فهي الأخرى تحتاج للإشباع وفي حال عدم إشباعها فإن صاحبها سيكون مآله الموت أيضا، وقد استخدمها الصينيون القدامى لتعذيب معارضيهم من خلال حلق رؤوسهم وتثبيتهم على سارية ووضع برميل من الماء البارد فوق رأس المعارض تنزل منه قطرة بين

الحين والآخر حتى يمنعوا النوم عنه، وكانت النتيجة أن هذا الشخص نتيجة عدم النوم يدخل في نوع من أنواع الهلوسة ثم لا يلبث أن يموت مالم تتاح له الفرصة لتحقيق إشباع لهذه الحاج وهي النوم والراحة.

وتبقى الحاجة الجنسية التي لا يترتب عليها موت في حال عدم إشباعها ولكن يترتب عليها انقراض للجنس البشري، وفي كتاب "موت الغرب" يشير باتريك بوكانن إلى أن تراجع دور الأسرة من ناحية واضطراب إشباع الدافع الجنسي من ناحية أخرى سيكون له في السنوات القادمة آثار خطيرة على عدد السكان في العالم الغربي، وهو يرى أن قارة أوروبا في نهاية هذا القرن ستتحول إلى قارة عجوز وسيتقلص تعداد سكانها من ٧٢٨ مليون نسمة حسب إحصاء عام ٢٠٠٠ إلى ٢٠٧ ملايين في نهاية هذا القرن.

(The Death Of The West, Patrick Buchanan, Tomas Dunne Books, New YORK,2002)

هذا الدافع إذا في حال عدم إشباعه وفق معايير أخلاقية معينة وضمن منظومة الأسرة لا يترتب على ذلك موت الفرد، ولكن يترتب عليه انقراض المجموعة، وفيما نجده الآن من حولنا في بعض المجتمعات ما يؤكد ذلك.

أما النوع الثاني من الحاجات فهو الحاجات النفسية التي يمكن تحديد أهمها في الحاجات التالية:

١. الحاجة للأمن.

٢. الحاجات الاجتماعية ويندرج تحتها كل من: (الصداقة والعلاقات الأسرية، والألفة الجنسية).

٣. الحاجة لتقدير الذات والاحترام.

٤. الحاجة لتحقيق الذات ويندرج تحتها:(الابتكار وحل المشاكل وتقبل الحقائق).

ويستطيع الزواج أن يشبع كل هذه الحاجات بلا استثناء في حال نجاحه.

وعودة إلى المعايير التي تحكم عقلية الشاب الخاطب في مجتمعاتنا سنجد أنه يبحث عن إشباع لهذه الحاجات سواء العضوية أو النفسية.

ودوافع الشباب للزواج لا تخرج عما حدده المصطفى عليه الصلاة والسلام حين قال: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا،

وَلِجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاك)، رواه البخاري ومسلم.

ويمكننا أن نقرأ في هذا الحديث إشارات واضحة إلى أن الشباب يبحثون في زوجة المستقبل عن أربع مزايا: المال، والحسب والجمال والدين.

فالمال يشبع الحاجات العضوية، كما يشبع الحاجة للأمن والتقدير، والحسب يشبع الحاجة للتقدير وربما أشبع الحاجات العضوية كلها أو بعضها، والجمال يشبع الحاجة الجنسية.

ويبقى السؤال: أي الحاجات يشبعها الدين؟

وقبل الإجابة على هذا السؤال نحتاج لتحديد معنى هذا المصطلح.

إن مفهوم الدين ليس محصورا في العبادات وحدها، مع ما لهذه العبادات من قيمة كبرى، إلا أنني أرى أن العبادة في الإسلام أشمل وأعم من مجرد العبادات المشهورة كالصلاة والصيام والزكاة والعمرة والحج، كما أن مظاهر التدين التي تتضمن هذه العبادات وكذلك المظاهر الخارجية لدى كل من الرجل والمرأة، تمثل جزء من العبادة وليست كل العبادة، والمتتبع لنهج المصطفى وأحاديثه وسيرته العملية يجد العبادة في كل جوانب الحياة، ابتداء من إزالة الأذى عن طريق الناس، إلى تقدير النعمة، وحسن إدارة الوقت، والتبسم في وجوه الآخرين، وحسن الجوار والسعي في خدمة الآخرين ...الخ.

بل إن العبادة تكاد تشمل كل جوانب الحياة بما فيها العلاقة الجنسية بين الزوج وزوجته، ولو تأملنا هذا الحديث لأدركنا ذلك: "عن أبي ذر رضي الله عنه أيضا أن ناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور، يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم، قال: أوليس قد جعل الله لكم ما تصدقون؟ إن بكل تسبيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن منكر صدقة، وفي بضع أحدكم صدقة، قالوا: يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: أرأيتم لو وضعها في حرام، أكان عليه وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر" رواه مسلم.

وعليه فإن البحث في أسس ومعايير الاختيار لدى الزوجين لبعضهما يتطلب البحث في مجالين

هما بتقديري متكاملين، الأول الجانب الديني، وهذا يتطلب استخلاص القواعد والمعايير التي يحض عليها ديننا لاعتبار رئيسي وهو أن استخلاصها من النصوص سواء كان النص قرآنا أو حديثا صحيحا أو سلوكا فعليا مارسه المصطفى عليه الصلاة والسلام، إنما هو استخلاص لقواعد ارتضاها الخالق لنا باعتباره أعلم منا بما يجلب لنا الخير.

والمجال الثاني هو الجانب النفسي المستند على البحث العلمي، وهذين الجانبين في نهاية المطاف سيتقاطعان، ويتلاقيان، لسبب جوهري يكمن في أن النصوص الشرعية بمثابة " الكتاب المسطور"، ونتائج البحث العلمي هي الكتاب المنشور، وهذا ما يؤكده قوله عز وجل: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾. (فصلت، آية ٥٣).

وما لم ينبري الباحثون النفسيون للخوض في هذين المجالين فإننا سنضِّيع على أنفسنا فرصة الاستفادة من الكتاب المسطور، وكذلك من الكتاب المنشور.

وحين نقف عند الحديث السابق سنجد أن الاختلافات بين الزوجين تعود لترتيب هذه الأولويات المشار إليها آنفا لدى كل منهما، وهي في حال توافقها بينهما ستلعب دورا رئيسيا في صنع الألفة لديهما، هذه الألفة التي تمثل حجر الزاوية في أي زواج ناجح، وهي ما حض عليه النبي صلى الله عليه وسلم كما ورد في الحديث الذي ورد في الأسطر السابقة. عَنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رضي الله عنه أَنَّهُ خَطَبَ امْرَأَةً فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (انْظُرْ إِلَيْهَا فَإِنَّهُ أَحْرَى أَنْ يُؤْدَمَ بَيْنَكُمَا) والأُدْمُ هو المودة. والحديث صححه الألباني في صحيح الترمذي.

رابعا: معايير إرشادية للمقبلين على الزواج.

يحتاج الزواج كي ينجح توفر كم جيد من المعايير الإرشادية التي هي بمثابة لوحات إرشادية لكلا الطرفين الزوج والزوجة، والتي تساعد على حسن الاختيار، كما أنها تساعد على اتخاذ القرار بالموافقة أو الرفض في حال الإقدام على الزواج.

١. دور الحب في الزواج:

الحب مخلوق يولد بين اثنين ثم ينمو ويكبر وقد يمرض ويذبل وقد يموت، وطالما أنه مخلوق يمثل

جسرا بين اثنين فهو بحاجة لجهدهما معا، وفي بعض الحالات يمكنه أن يستمر بجهد أحد الطرفين كما هو الحال في حب الأم لأبنائها.

ويمكننا أن نميز بين نوعين من الحب، الأول هو الحب النرجسي وهو حب لا يساعد على استمرار الحياة الزوجية، بل إنه في حال وجوده سيكون حجر عثرة في هذه الحياة، ومن ابتلي بوجود هذا النوع من الحب لدى شريك حياته عليه أن يبذل جهدا مضاعفا لمساعدة النرجسي على النضج، مع عدم ضمان النتائج ما لم تتوفر جملة من الشروط أهمها أن يدرك النرجسي وجود ذلك في شخصيته، وفي كثير من الحالات يحتاج النرجسي حتى يتخلص من نرجسيته كلها أو بعضها لمساعدة من مختص في مجال الإرشاد الزواجي والنفسي.

والنوع الثاني من الحب هو الحب الحقيقي.

الحب النرجسي أو الوله:

يخلق البشر جميعا بهذا النوع من الحب، والحكمة من وجوده لدينا منذ ولادتنا أنه يعيننا على حماية أنفسنا والاهتمام بها والبحث عما يفيدها وينميها، والمشكلة الكبرى في هذا النوع من الحب استمراره لدى الفرد مع تقدمه في العمر، وعدم قدرته على الانتقال لمرحلة الحب الحقيقي، وهذا أحد أهم أسباب معاناة شريك حياته منه.

وفي هذا النوع من الحب نلحظ العديد من الخصائص التي تميز شريك الحياة النرجسي أهمها:

١. يعتبر الآخر مصدرا للمتعة، ويشعره بصورة دائمة أو شبه دائمة بأن عليه أن يسعى وباستمرار لإمتاعه، وبالتالي فالنرجسي شخص يُكثر من استخدام مصطلح:" المفروض، لازم" (رحلة عقل).

٢. حبه من نوع حب كشف الحساب وتصيد الأخطاء، بمعنى أن النرجسي يقدم لشريك حياته بصفة دائمة أو شبه دائمة كشوف الحسابات، أي أنه كثيرا ما يذكر شريك حياته بما قدمه له، كما أنه يمتاز بالمن عليه وتذكيره بالخدمات والعطايا التي قدمها له، والنرجسي كثيرا ما يتهم شريك حياته بالجحود ونكران الجميل.

٣. يعطي النرجسي لشريك حياته شعورا خاطئا بالأمن يظهر في صورة غيرة مفرطة تصل أحيانا إلى حد الغيرة الخانقة، والمؤسف أن هؤلاء ينجحون في كثير من الأحيان بإقناع شريك حياتهم بأن

غيرتهم ناتجة عن حبهم، ولكنهم ينسون أو يجهلون أنه حب زائف لأنه حب لذواتهم، وحب استمراره مشروط بتقديم شريك الحياة لهم ما يريدونه من اهتمام زائد، وكأنهم يريدون وبشكل لا شعوري استمرار حب أمهاتهم لهم ناسين أو متناسين أن العلاقة الزوجية شراكة بين طرفين يتطلب استمرارها الاهتمام المشترك من الطرفين، كما يتطلب نضجا يتعلق بمفهوم الحقوق والواجبات، وأنه لا يمكن أن تكون العلاقة الزوجية صورة طبق الأصل لعلاقة أحد الزوجين بأمه.

٤.يمتاز الحب النرجسي بأن صاحبه يكون ولهانا بشريك حياته، وأن هذا الوله يفقده طموحه واهتمامه بأمور الحياة العادية، ويستغرق في أحلام يقظة تدور حول الطرف الآخر، والتأمل في تعاسته بسبب انفصاله عن محبوبه.

٥.يثيرالحب النرجسي في نفس المحب التعجيل في الزواج، وذلك لأنه يستعجل اهتمام المحبوب به، وتحقيقه الإشباعات المختلفة له.

٦.يمتاز صاحب الحب النرجسي بالتغير المفاجئ نحو شريك حياته، ويكون منبع هذا التغير مشاعر منبعثة من الذات بدون أسباب ظاهرية فهو يشعر فجأة بالنفور نحو شريك حياته حتى لو لم يطرأ عليه تغيير.

لذا يفضل لمن يجد بعضا من هذه المظاهر في شريك حياته أن يتريث في الموافقة على الزواج لأن الموافقة تعني احتمال تعرضه لبعض أو كل هذه المظاهر التي ستكون سببا في تعاسته وعدم نجاح زواجه، بخاصة إن كان هو أيضا نرجسي الحب وغير ناضج.

الحب الحقيقي ودوره في نجاح الزواج:

يتشابه الحب الحقيقي والحب النرجسي في الشكل الخارجي، فالمحب في كليهما يعطي المحبوب، عطاء ماديا ومعنويا، والفرق بين العطاء في النوعين أنه في الحب الحقيقي عطاء غير مشروط، وبدون مقابل ويبدو هذا في أصدق أنواع الحب الحقيقي وهو حب الأم لطفلها، كما يبدو في عطاء المؤمنين حين قال عنهم تباركت أسماؤه:﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا ﴾.(الإنسان آية ٩).

أما في الحب النرجسي فإن العطاء فيه مشروط بحيث يتوقف المحب عن عطائه للمحبوب إن لم

يحقق هذا المحبوب للمحب ما يريده.

ومن أهم مزايا الحب الحقيقي وخصائصه التي تجعلنا نميزه عن الحب النرجسي ما يلي:

١. الحب الحقيقي كالنبع. العطاء فيه كالمطر الذي يغذي النبع فيزداد غزارة. والنموذج الأمثل لهذا النوع من الحب هو حب الأم لطفلها كما أسلفنا، وما عدا ذلك من أنواع الحب قد تقترب منه قليلا أو كثيرا، وفي هذا النوع من الحب نلمس كلنا من خلال ما تلقيناه من محبة أمهاتنا كيف كان هذا الحب يغذينا ويعطينا القدرة على العطاء لغيرنا.

٢. علاقة الحب الحقيقي الصادق علاقة حية نامية تميل للبقاء والدوام.

وهذه الصفة تجعل صاحب الحب الحقيقي يستمر في عطائه، ولا يربط هذا العطاء بما يجده من مقابل يأتيه من الطرف الآخر، مع أن المطلوب من شريك الحياة الذي يجد في الطرف الآخر هذا النوع من الحب أن يقابله بحب أيضا وبعطاء إن لم يكن مماثلا فينبغي أن يكون أكثر وأعلى، لأن القاعدة تقول: ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلا الإِحْسَانُ﴾.(الرحمن آية ٦٠)، وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا: ﴿لا يشكر الله من لا يشكر الناس﴾. رواه الترمذي.

٣. يعطي المحب لمحبوبه شعورا بالأمان والثقة.

ومبرر ذلك أن المحب لا يتراجع حبه بشكل ملفت لمجرد أنه لم يتلق من محبوبه مقابل، مما يجعل المحبوب يشعر بالثقة والأمان، وهذا الأخير هو محور السواء النفسي ومحور الاستقرار الزواجي، كما أنه محور لمزيد من العطاء سواء للأبناء أو لشريك الحياة المحب حبا حقيقيا.

٤. يسعى المحب لسعادة الطرف الآخر.

ذلك أن حبه الحقيقي حبا ممتدا يجعله يحرص على سعادة من يحب، وأمانه وراحته، وربما كان كل هذا لسبب واحد أن المحب حبا حقيقيا لديه تقدير عال لذاته، ولديه شعور بالأمن النفسي عال أيضا.

٥. يوجه التفكير في العلاقة المستقبلية معا.

صاحب الحب الحقيقي لا يفكر بعلاقته بمن يحبه باعتبارها علاقة مؤقتة، بل هي عنده علاقة أبدية تماما كما تنظر الأم في علاقتها بولدها باعتبارها علاقة أبدية لا يمكن أن تفكر بقطعها حتى

لو أن ولدها قصر بحقها وابتعد عنها نجدها سرعان ما تعيد الدفء للعلاقة معه بمجرد عودته لحضنها

٦.يميل بالمحبين للتفكير بالإعداد للزواج والتغلب على المشاكل.

وهذه الصفة تبدو هي الأخرى واضحة لدى صاحب الحب الحقيقي، ولأنه قادر على تحمل المسؤولية نجده يفكر بالزواج من زاوية الإعداد له، كما أنه يملك القدرة على مواجهة المشكلات في حال حدوثها، وكثيرا ما يشعر شريكه بأنه مع طرف يمكن الاعتماد عليه نظرا لامتلاكه لهذه المقدرة.

٧.يعمل المحبين على حل الصعوبات التي تواجههم بدل التلاوم وتحميل كل طرف المسؤولية للطرف الآخر، وهذه صفة تميز أصحاب الحب الحقيقي فالتلاوم بينهما قليل، وهما يتوجهان بكل طاقتهما لإيجاد حلول للصعوبات والمشكلات التي يواجهانها.

خصائص الأشخاص الذين يصعب وقوعهم في الحب؟

يمتاز الأشخاص الذين يصعب وقوعهم في الحب بجملة من الخصائص أهمها:

١.التعلق بأحد الوالدين تعلقا مرضيا: بمعنى أن صلته بأحد والديه صلة غير صحية، ولا تقف عند حدود البر، بل تتعداها لحد أن الابن يكون كتابا مفتوحا أمام أحد والديه ومنه يتم توجيهه، وغالبا ما تكون توجيهات أحد الوالدين المتعلق به الزوج أو الزوجة طريقا للتدخل المفرط في حياته، ولا يشعر الوالد المتدخل بالراحة إلا إذا نفذ المتعلق به كل ما أشار عليه به، وهنا يفاجأ الشريك بأنه يعيش مع طرف آخر كثير التقلب في آرائه، مما يجعل الثقة به أمرا صعبا، وسرعان ما يكتشف هذا الطرف تدخلات الأهل التي يترتب عليها مصادمات مع هذا الشريك صاحب التعلق المرضي بأحد والديه.

٢.وجود ميول جنسية نحو ذاته: بمعنى أنه يستمد المتعة الجنسية من ذاته عبر ممارسته المفرطة للعادة السرية، مما يُشعر شريك حياته أحيانا كثيرة بالمهانة، لأن بعض الأزواج تحديدا حتى بعد ممارسة الجماع يقومون بممارسة العادة السرية التي تكون الوسيلة الحقيقية للإشباع الجنسي، وأحيانا يمارسونها بالسر، وقد يمارسها البعض في العلن أمام الزوجة مما يسيء كثيرا للعلاقة بينهما.

٣.غير المقبول من الآخرين: وهذا النوع من الأزواج يعاني من سوء توافق اجتماعي وهذا ما سنأتي على ذكره في السطور القادمة.

٤.تكرار الوقوع في الحب مع وجود التردد في سلوكه: ويكون لمثل هذا الصنف من الأزواج تجارب كثيرة سواء انتهت بالخطبة وعقد القران أو توقفت عند حدود علاقات الحب والغرام، التي لا تصل لحد الإقدام على إجراء عملي للارتباط بطرف آخر.

والملفت أن أمثال هؤلاء يزداد ترددهم في اتخاذ القرار مع وجود هذه الوفرة من التجارب العاطفية.

٥.الوقوع تحت تأثير الهدايا أو مركز العائلة: أمثال هؤلاء تجذبهم الهدايا ومركز العائلة لدرجة أنهم يجعلون ذلك معيارا مهما يقيمون على أساسه الشريك الذي يودون الارتباط به، فإن لم يحصل على القدر الكبير من الهدايا يشعر أنه غير محبوب وبالتالي تبدأ سلسلة من المشكلات بينه وبين شريك حياته غالبا ما تمر بالتلاوم والمشكلات والصراعات قبل أن تنتهي بالطلاق.

٤.خصائص الشخص غير الناضج انفعاليا:

يمكننا أن نلحظ مجموعة من الصفات التي تميز الشخص غير الناضج انفعاليا، وهي صفات في حال وجودها في أحد الشريكين فإنها تعتبر حجر عثرة وحاجزا قويا في وجه تحقيق الزواج الناجح، وأبرز هذه الصفات ما يلي:

١. شعوره أنه غارق في الحب من خلال عبارات الحب التي يستخدمها كتابة وحديثا. وبالتالي يشعر بأن مثل هذه الكلمات تكفي للتعبير عن حبه لشريك حياته، ويهمل معها كل صور الحب العملي المتمثل في تحمل المسؤولية والمشاركة الوجدانية وسواها.

٢. الشخص الذي يكون متعلق بصورة مبالغ بها بأحد والديه.

٣. الشخص النرجسي الذي يتمركز حول نفسه أي صاحب الشخصية الدوامية، التي تريد ابتلاع كل ما يحيط بها، وبالتالي فإن شريك حياته يشعر أنه ينبغي عليه أن يعيش حياته كلها لخدمة ذلك الطرف، وتتحول حياته معه إلى تلبية رغباته وطلباته التي عادة لا تنتهي.

٤. صاحب الميول الاستغلالية تجاه الجنس الآخر، وهذه الصفة تجعل من يتمتع بها شخصا همه

الدائم هو الاستفادة من شريك حياته على كل الأصعدة المادية والمعنوية.

٥. من لم يتعلم مبدأ المشاركة، وغالبا ما يكون الشخص الذي تكون لديه هذه الصفة شخصا اعتاد في حياته على الأخذ وليس على العطاء، وهو بالتالي لا يستطيع تحمل أن يشاركه الآخر في أي شيء لدرجة أنه يصعب عليه حتى العيش مع شريك حياته في غرفة واحدة.

٦. من يشعر بالنقص أو عدم الاستقرار أو الافتقار للجاذبية.

٧. الشخص الثائر على والديه ويرغب في الهروب منهما، وهو شخص يفتقر لمشاعر الامتنان لمن قدم له معروفا وبخاصة والدية ويغلب على هذا النموذج من الأزواج والزوجات أنهم غير بارين بكلا الوالدين أو بأحدهما، وأمثال هؤلاء يصعب عليهم أن يحققوا زواجا ناجحا في كثير من الحالات.

٨. شخص فشل في حبه الأول، وهو شخص يخرج من تجربته الفاشلة بتعميمات قاسية وجامدة لدرجة أنه لا يستطيع توظيف تجربته لتجنب عيوبها والاستفادة من حسناتها، فإن كان رجلا نسمعه يقول: "كل النساء سيئات، ويصعب الثقة بهن"، وإن كانت امرأة نسمع منها عبارات تعميمية مشابهة مثل: "الرجال سيئين، أنانيين، لا تهمهم إلا مصلحتهم...الخ"

٩. الشخص الذي يتجه بميوله نحو جنسه بدرجة أقوى من الميل للجنس الآخر، وأمثال هؤلاء يغلب أن يكونوا قد مروا بتجارب جنسية تمحورت حول المثلية بغض النظر عن الدرجة التي وصلوا إليها في الممارسة الجنسية مع أفراد الجنس المماثل.

ويبدو جليا أن المقبلين على الزواج من الجنسين بحاجة ماسة للتثبت من وجود مثل هذه الخصائص لدى الطرف الذي يتوقع أن يكون شريكا لحياته مستقبلا، وفي حال وجود عدد كبير من هذه الصفات فإن نجاح الزواج سيكون مشكوكا فيه، وستتلون الحياة بالكثير من المشكلات والصعوبات والصراعات.

٤. خصائص الشخص الذي يتوقع لزواجه النجاح؟

يفضل النظر لهذه الخصائص باعتبارها حزمة متكاملة، بمعنى أنها حين تتوفر جميعها فنحن أمام شخص حاز على معظم أسباب النجاح، وفي حال توفر بعضها، فنحن أمام شخص حاز على

بعض أسباب النجاح، وكلما تمتع الشخص بعدد أكبر من الخصائص التي سنوردها فيما يلي كلما كانت فرصته في نجاح زواجه أكبر.

وتجدر الإشارة إلى أن هذه الصفات بمجملها كلما توفرت في الزوجين قبل الزواج كلما كانت مؤشرا على نضجهما من ناحية، وكلما ساعدت على نجاح زواجهما من ناحية أخرى، وقللت بالتالي من فرص المشكلات، وساهمت أيضا في سرعة حل هذه المشكلات عند حدوثها.

١. توفر فلسفة للحياة:

ومن كانت لديه فلسفة للحياة سواء منها ما يتعلق بالهوية، أو الأهداف، أو الدور الذي ينوي القيام به في هذه الحياة، وكلما كانت المساحة المشتركة بينه وبين شريك حياته كبيرة كلما ساهم ذلك في إنجاح الحياة الزوجية وجعلها ممتعة، وقلل بالمقابل من الصراعات والخلافات.

٢. التفاؤل:

تلعب هذه الصفة دورا رئيسيا في حياة المتفائل، فهي التي تجعله قادرا على قبول التحديات، وتبعد عنه الاكتئاب وتقلل الإحباطات الناتجة عن المشكلات الصعبة، والشخص الذي يملك درجة عالية من التفاؤل يترك بصمة إيجابية كبيرة في نفوس من يتعاملون معه، ويساعدهم على مواجهة مشاكلهم، إضافة إلى أن المتفائل يكون شخصا منتجا ومؤثرا في محيطه.

٣. الاستقرار الانفعالي:

وهي صفة تقلل إلى حد كبير التقلب المزاجي الشديد الذي إن وجد لدى شخص ما يجعل من حوله يصعب عليه التنبؤ بسلوكه، وكثيرا ما نجد أن الأشخاص غير المستقرين انفعاليا يفقدون صداقاتهم ويعانون من الوحدة والعزلة في محيطهم الاجتماعي، لذا فإن الشخص الذي يتمتع بدرجة عالية من الاستقرار الانفعالي يكون محبوبا وموضع ثقة ممن يتعاملون معه، وبالتالي يكون شخصا ناجحا في حياته الزوجية.

٤. المرونة:

وهي صفة تمثل أحد أسس النجاح الشخصي والاجتماعي، لأن الشخص المرن يغلب أن يكون شخصا مبتكرا، وهو أشبه بالماء بمعنى أنه يستطيع التغلب على الصعوبات بشكل كبير، لا تعجزه

المشاكل، ومساحة التصادم بينه وبين من يتعاملون معه في حدودها الدنيا، إضافة إلى صلابة ودأب في مواجهة المشكلات.

وعكسه الجامد عقليا الذي لا يرى الصواب إلا عنده، وهو متسامح مع من يؤيده وغير متسامح مع المخالفين له، وتلعب المرونة دورا كبيرا في نجاح الحياة الزوجية، كما تلعب دورا في تطوير شخصية الزوجين.

٥. مشاركة ومراعاة مشاعر الغير:

هذه الصفة يُطلق عليها البعض مسمى " المشاركة الوجدانية"، وهي صفة هامة في مجال الحياة الاجتماعية عامة والحياة الزوجية خاصة، وهي بمثابة الجسر الذي يسهل على من يتمتع بدرجة عالية منها العبور إلى نفس الطرف الآخر والذي يكون في حالات كثيرة بأمس الحاجة لمن يشعر بمعاناته أو همه أو حزنه أو فرحه، وهي صفة تجعل صاحبها لبيبا بالإشارة يفهم كما يقولون.

إن ضد هذه الصفة يكون عادة سببا للكثير من المشكلات الزوجية، ويصبح عنصر تنغيص على شريك الحياة الذي يحتاج المشاركة الوجدانية، وكثيرا ما تعاني الزوجات اللواتي تزوجن رجالا يملكون قدرا ضئيلا من المشاركة الوجدانية من الوحدة، ويتعرض ضعيفي المشاركة الوجدانية عادة لنقد متزايد من شريك حياتهم. ويوصفون بالأنانية، والحقيقة قد لا تكون أنانية بقدر ما هي درجة ضعيفة من المشاركة الوجدانية تجعل صاحبها ضعيفا في إدراك ما لدى شريك حياته من هموم أو متاعب.

٦. الثقة بالنفس وبخاصة من قبل الزوج:

تلعب الثقة بالنفس دورا كبيرا في النجاح في جميع جوانب الحياة، وبخاصة الحياة الزوجية، وهي مهمة جدا للزوجين وأكثر أهمية بالنسبة للزوج باعتباره الطرف الذي يُطلب منه تحمل مسؤولية القرارات وفقا للأعراف الموجودة في عالمنا العربي والإسلامي، وعند توفر الثقة بالنفس لدى الزوجين بدرجة عالية فإن عبء الحياة الزوجية وتكاليفها تتوزع على الشريكين بشكل يجعلها أكثر سلاسة وسهولة.

٧. التواكل الانفعالي:

وهذه الصفة تجعل صاحبها يرتاح للمساندة الانفعالية واستشارة الآخرين بعكس المكتفي ذاتيا،

وهي بالتالي تجعل الزوج الذي يتمتع بها يُقبل على شريك حياته بلا حساسية ويصبح أكثر قدرة على التعري النفسي أمامه، وتختفي مع الزمن الأسرار بينهما، وتساهم هذه الصفة بصورة فعالة في مزج كياني الزوجين مما يساهم بصورة فاعلة في نجاح زواجهما، كما تساهم هذه الصفة في تنشئة أبنائهم وبناتهم ليكونوا أفرادا أكثر نضجا.

٨.توفر النضج والقدرة على اتخاذ القرار بحيث لا يتحكم الآخرين بخيوطه:

يتمتع أصحاب النضج القادرون على اتخاذ القرار بقدر كبير من الاستقلالية والتحرر من تحكم الآخرين به، وفي حال توفر مثل هذه الصفة فإن مصادر التدخل الخارجي في مجريات الحياة الشخصية والزوجية من قبل الأهل أو الأصدقاء تصبح ضئيلة إلى حد كبير، مما يتيح للزوجين فرصة أكبر لحسن إدارة حياتهما بنفسيهما.

٩.قدرة شريك الحياة على إشباع الحاجات النفسية لدى شريكه:

ترتبط هذه الصفة بصفة أخرى وهي الصفة الخامسة في هذه القائمة من الخصائص وهي مشاركة ومراعاة مشاعر الغير، ذلك أن القدرة على إشباع الحاجات النفسية لشريك الحياة لا تنمو ولا تفيد إن لم ترافقها هذه الصفة، ونحن نقصد بالحاجات النفسية لشريك الحياة كل الحاجات التي سبق أن ذكرناها في مطلع هذه الورقة.

ويترتب على إشباع كل شريك للحاجات النفسية لشريك حياته قدرا كبيرا من الحرية والاستقلالية، وقدرا كبيرا من الأمن والاستقرار في حياتهما.

١٠.قدرة الشريك على عمل الصحبة والألفة والتعامل مع الشريك باعتباره صديق:

يمكن تصنيف الزيجات التي نلاحظها في الحياة اليومية إلى مستويات ودرجات، فهناك زيجة لا تعدو كونها وحدة لإشباع الحاجات العضوية من طعام وشراب ونوم وجنس، وهناك زيجات ربما بعض هذه الحاجات لا تشبع بها، وأخرى ترتقي العلاقة بين طرفيها ليصبح الزوجان صديقين وشريكين وحبيبين وعشيقين، يذوب كيان كل منهما في كيان الآخر ليصبح كيانا به مساحة مشتركة بين الإثنين، تختفي إلى حد كبير الحساسية من أي كلمة أو تصرف يصدر عن الآخر، وهذه الصفة أكثر انتشارا بين الأصدقاء، فهم متسامحون مع بعضهم البعض، وينظر كل صديق بعين الرضا لصديقه، إذ لا يقف الصديق عند زلات صديقه، وحين يتمتع الزوجان بروح الصداقة هذه ترتقي

علاقتهما الزوجية لتسودها المودة والرحمة والمعروف وهي أبواب الحياة الزوجية الثلاثة.(الزواج: أبواب ثلاثة ومخرج واحد).

١١.أن يكون قد نشأ في أسرة قبلته ولم تنفر منه وترفضه:

يصعب وجود شخص رفضته أسرته ويتمتع بقدر كبير من قبول الآخرين، لذا فإن قبول الأسرة لأبنائها وعدم نبذهم شرط جوهري لنضج الأبناء، ومن يعيش في وسط أسرة يتمتع فيها الوالدان بقدر جيد من الوعي التربوي يساهم في إشباع الحاجة للاحترام والتقدير لدى أبنائها، كما يساهم في زيادة تقدير الأبناء لذواتهم، وهذا بدوره يساهم في نضج أفرادها، وفي مساعدتهم على النجاح في زيجاتهم مستقبلا.

١٢.الرغبة الجنسية المتقاربة في قوتها مع رغبة شريكه:

الحياة الجنسية بصفة عامة عنصر مهم جدا في الحياة الزوجية، ولنجاح الزواج ينبغي أن تتوفر جملة من الشروط في هذا الجانب، فكثيرة هي الزيجات التي فشلت بسبب خلل أو أكثر في هذا الجانب عند أحد الطرفين، وكلما كانت رغبة الزوجين الجنسية متقاربة كلما ساعد ذلك على مزيد من توافقهما ومزيد من نجاح حياتهما الزوجية بصفة عامة.

١٣.تقارب الميول والقيم:

والمقصود بهذه الصفة التقارب في الميول المتعلقة بطريقة قضاء وقت الفراغ، والرغبة في الإنجاب.. الخ، كما أن مجموعة القيم لدى الزوجين في حال تقاربها سيساعد على تقارب فلسفة الحياة عندهما، ويكون هذا منطلقا لزيادة الأنشطة المشتركة بينهما مما يعزز حياتهما الزوجية ويزيد في فرص نجاحها.

١٤.رضاء كل طرف عن أصدقاء الطرف الآخر:

يمكنني الجزم بأن أحد أسباب الخلافات التي ألاحظها على مراجعي "بيت المشورة"، وهي العيادة التي أعمل بها منذ سنين طويلة جدا، سببها عدم رضا كل طرف عن أصدقاء الطرف الآخر، ولعل هذا يرتبط باختلاف جوهري بين الزوجين في فلسفة الحياة وفي الميول والقيم التي يؤمن كل منهما بها، وبالتالي فكلما كانت فلسفة الحياة ومنظومة القيم التي يؤمنان بها متقاربة كلما كانت نوعية الأصدقاء المحيطة بكل منهما متماثلة الاهتمام أو متقاربة إلى حد كبير.

وحين يتوفر في محيط أي من الزوجين مجموعة من الأصدقاء لا يرضى عنها الشريك الآخر، كلما كان ذلك سببا في تدهور العلاقة بينهما، على عكس الأزواج الذين يرضون عن أصدقاء بعضهم البعض.

١٥.التوافق الشخصي:

وهي صفة لها ستة مظاهر رئيسية على النحو التالي:

- ***الاعتماد على النفس***:

ويتضمن هذا الجانب ميل الفرد للقيام بعمله بنفسه دون أن يُطلب منه القيام به، ودون الاستعانة بغيره. وهو النموذج الذي سماه القرآن الكريم " الآمر بالعدل"، مقابل "الكل": ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ .(النحل، آية ٧٦).

بمعنى أن يتصف الشخص الذي يملك درجة عالية من التوافق الشخصي على درجة عالية من الاعتماد على نفسه سواء في إدارة حياته أو في اتخاذ قراراته، وحين تنخفض الدرجة في أي من الاتجاهين فإن هذا يعتبر مؤشرا على احتمال ظهور المشكلات في الحياة الزوجية.

- ***الإحساس بالقيمة الذاتية***:

ويتضمن شعور الفرد بتقدير الآخرين له وحبهم وقبولهم له ورؤيتهم له على أنه قادر على تحقيق النجاح، وشعوره بأنه قادر على القيام بما يقوم به غيره من الناس.

- ***الشعور بالحرية الذاتية***:

بمعنى شعور الفرد بأنه قادر على توجيه سلوكه ووضع خططه بنفسه ولنفسه، ولا يخفى على أحد ما لهذه الخاصية من دور في نجاح الفرد في حياته بصفة عامة وفي حياته الزوجية بصفة خاصة.

- ***الشعور بالانتماء***:

أي شعور الفرد بأنه موضع حب أسرته ورفاقه، وهذا يعني أن الفرد يملك سندا نفسيا كبيرا يساعده على زيادة السواء النفسي لديه، ويحميه من الشعور بالغيرة المرضية التي كثيرا ما تفتك بالحياة الزوجية وتودي بها.

التحرر من الميل إلى الانفراد:

أي أنه لا يميل إلى الانطواء والانفراد، بل يستمتع بالتواجد مع من يحب من الناس، ومن يتمتع بمثل هذه الصفة تجعله محبوبا من شريك حياته ومن أهله، وهذا يساعد كثيرا على زيادة مساحة الأفراد الذين ينتمي إليهم الزوج أو الزوجة ويساهم بشكل كبير في زيادة الألفة بين مكونات الأسرة الجديدة وهما الزوج والزوجة وأهل كل طرف من الطرفين.

- ***الخلو من العصابية:***

بمعنى أنه لا يشكو من المظاهر التي تشير إلى الانحراف النفسي كعدم القدرة على النوم بسبب الأحلام المزعجة أو الخوف أو الشعور بالتعب أو البكاء الكثير وغيرها من الأعراض العصابية.

١٦.التوافق الاجتماعي والأسري ومن أهم مظاهره الآتي:

- ***إدراك حقوق الآخرين:***

بمعنى أن الفرد يعرف الصواب من الخطأ والحرام والحلال والعيب والمباح في نظر الجماعة التي يعيش بنها.

- ***اكتساب الفرد للمهارات الاجتماعية:***

وتتضمن هذه الصفة إظهار المودة تجاه الآخرين بسهولة، وبذل الجهد والوقت والتفكير لمساعدة وإدخال السرور إلى نفوسهم، واللباقة في التعامل مع الأقارب والغرباء على حد سواء، والغيرية والبعد عن الأنانية.

ومثل هذه الصفة في حال توفرها في الفرد تساهم مساهمة كبيرة في إنجاح زواجه بغض النظر عن كونه رجلا أو امرأة.

- ***التحرر من الميول المضادة للمجتمع:***

بمعنى أن الفرد لا يميل إلى المشاحنة والعراك مع الآخرين، كما أنه لا يميل إلى عصيان الأوامر أو تدمير ممتلكات الغير، ولا يرضي رغباته على حساب رغبات الآخرين، وهو عادل في معاملاته لغيره.

- ***العلاقات الطيبة مع الأسرة:***

وتتضمن هذه الصفة شعور الفرد بحب أسرته له وتقديرها له وإحساسه بالأمن وهو مع أفرادها.

- ***العلاقات الطيبة مع الزملاء والجيران:***

وتشمل توافق الفرد في مكان دراسته أو عمله، وإحساسه بحب من حوله له، وشعوره بقيمته بينهم. ويساعد هذا بشكل كبير على مزيد من الشعور بالأمن مما يعين كثيرا على زيادة نجاح زواجه.

- ***العلاقات الطيبة مع البيئة:***

وتتضمن التوافق مع الجيران والتعامل معهم دون شعور سلبي أو عدائي، واحترام الفرد لقواعد التعامل معهم.

ويمكن القول باختصار شديد أن التوافق عملية إشباع لحاجات الفرد العضوية والنفسية والاجتماعية بما يحقق الرضا عن النفس والارتياح الناتج عن خفض التوتر، ويسود سوء التوافق حين لا تشبع كل هذه الحاجات أو بعضها، وهي لا تشبع لأسباب عديدة يمكن اختصارها بكلمة واحدة " عدم النضج".

وعليه فإن نضج الفرد هو العامل الأساسي في نجاح حياته بعامة وحياته الزوجية بصفة خاصة.

المراجع:

١. القرآن الكريم
٢. صحيح أبو داوود
٣. صحيح البخاري
٤. صحيح الترمذي
٥. صحيح مسلم
٦. ميسرة طاهر، الزواج: أبواب ثلاثة ومخرج واحد، تحت الطبع
٧. ميسرة طاهر، رحلة عقل، تحت الطبع
٨. ميسرة طاهر وآخرون، مدخل إلى الإرشاد التربوي والنفسي، الدار السعودية للنشر، جدة، ١٤١٨
٩. The Death of the West, Patrick J. Buchanan, Tomas Dunne Books, New YORK,2002